التراث المعماري .. تاريخ وحضارة
التراث العمراني والمعماري التقليدي في حضرموت
وسبل حمايته والحفاظ عليه

د. محمد عبدالله بن هاوي باوزير•

من المعروف أن التراث المعماري في أي بلد هو المرآة التي تعكس ماضيه وحاضره بأمانة ، وأن عملية البناء والتعمير هي الرمز المادي للحضارة الإنسانية ، وكذا رمزها الروحي المعبر عنه في الثقافة والفكر ، ولعل حضرموت تتميز بغنى تراثها وأنماطها المعمارية ــ الدينية والدنيوية والعسكرية ــ وهو الأمر الذي سيتناوله الباحث في هذه الورقة بشكل موجز من خلال استعراض مراحل تطورها في العصور القديمة والإسلامية الأولى والوسطى وما تلاها ، كما سيتطرق في سياق هذه الورقة إلى أهمية هذا التراث وارتباطه بتاريخ حضرموت وحضارتها ، بل يوحي إلى التعمق في إدراك البُعد الحضاري لهذا الموروث الذي يتعرض حالياً للعبث والإهمال .. وقد اختار الباحث الأنماط المعمارية التقليدية لإحدى مدن ساحل حضرموت لمدينة غيل باوزير أنموذجاً لهذا التراث .

ولذا فأن هذا البحث يهدف إلى ضرورة رصد وتوثيق مختلف الأنماط المعمارية في حضرموت وإبراز المخاطر التي يتعرض لها الموروث المعماري وكيفية وضع ومناقشة السبل للحفاظ عليه وحمايته من التعدّيات بل يهدف أيضاً إلى مساهمة في تزويد المهتمين في وطننا العربي من باحثين وآثاريين ، وخاصة المشاركين في أعمال المؤتمر العلمي الذي ينظمه الاتحاد العام للآثاريين العرب هذا العام ٢٠٠٨م ، بما تمتلكه حضرموت من أنماط معمارية تقليدية فريدة .. ولعل ذلك سيسهم في تشجيعهم مستقبلاً لزيارة حضرموت والتعرف على معالمها المعمارية ، بل ربما سيدفعهم ذلك للبحث فيها ودراستها ، لإنجاز دراسات وبحوث أكثر عمقاً وشمولاً مما يثري بالتاكيد المكتبة اليمنية بل والعربية بشكل عام .

حضرموت .. تاريخ مجيد ومعالم فريدة :

كشف المزيد من البحث وبخاصة الحفائر في جزيرة العرب يوماً ما ، عن أشياء تغيّر الرأي القائل بأن الجزيرة العربية كانت خالية تماماً من أي منشآت معمارية قبل

• أستاذ تاريخ اليمن والجزيرة العربية القديم المساعد - كليه التربية صبر ــ جامعة عدن

ظهور الإسلام وفي أثناء عقود نشأته الأولى[١]، وبما أن حضرموت جزءاً من جزيرة العرب فهي حتماً عامرة بالمنشآت منذ ما قبل الإسلام وبعده..[٢] ومن هنا تأتي هذه الورقة بهدف الوقوف على أنماط العمارة والعمران وتطورها في حضرموت عامة وغيل باوزير خاصة ، وتوضيحها من خلال المحاور التالية :

- مراحل تطور العمارة والعمران في حضرموت.
- معالم غيل باوزير المعمارية بين الخبر والأثر.
- إبراز المخاطر التي يتعرض لها الموروث المعماري في حضرموت عامة وغيل باوزير وضواحيها خاصة وسبل الحفاظ عليه وحمايته من الإهمال والعبث والتعدّيات.

أولاً : مراحل تطور العمارة والعمران في حضرموت :

يمكن متابعة هذه المراحل من خلال رؤية عامة للتطور التاريخي للأوضاع السكانية والاقتصادية والسياسية وهي كما يلي :

أ – في العصور القديمة:

وهي الفترة الموغلة في القدم والسابقة على ظهور الإسلام وقد شهدت قيام عدة ممالك في جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم) وقد كانت هذه الممالك ولفترة طويلة تتصارع فيما بينها وأحياناً تتعايش أو تتحد سلماً أو حرباً ، وبالنسبة لعلاقة مملكة حضرموت بكل الممالك المعاصرة لها ، علاقة تحكمها المصالح والمواقف ، ولذلك كانت هذه العلاقة تتأرجح بين مشاعر الود والمنفعة الاقتصادي حيناً ، ومشاعر العداء والحروب المدمّرة حيناً آخر. وظل الحال كذلك للأربعة القرون الميلادية الأولى حتى تم ضم حضرموت بمملكة سبأ وذوريدان.. في عهد ملكها شمريهرعش الذي لقّب بملك: سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنة (أحداث القرن الرابع الميلادي) ومن ثم تحت حكم الملك الحميري أبي كرب أسعد (أحداث القرن ٥م)[٣].

أما بالنسبة لازدهار ورخاء تلك البقاع فقد سماها المؤرخون والجغرافيون

---

١) شاخت ، جوزيف. بوزورث كليفورد : تراث الاسلام، ج١ ، ترجمة د. محمد زهير السموري. د. حسين مؤنس. د. إحسان صدقي، تعليق وتحقيق: د. شاكر مصطفى، ط٣، سلسلة كتاب عالم المعرفة ، العدد (٢٣٣) ، الكويت، مايو ١٩٨٨م، ص٣٢٨.

٢) المخلفات الأثرية القائمة في حضرموت من مباني ومعابد وغيرها شاهداً على ذلك.

٣) عن ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية وإحداث القرون الميلادية السابقة للإسلام انظر: اسمهان الجرو: موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، ط١ ، دار جامعة عدن، ٢٠٠٢م، ص٨٦ وما بعدها.

الكلاسيكيون (اليونان والرومان) العربية السعيدة (Arabia Felix) لخصوبة أراضيها التي تتساقط عليها الأمطار الموسمية التي نتج عنها نشاطاً زراعياً كبيراً ، ولما عرفت به من خير وثراء تجاري وفير بحكم موقعها الجغرافي وأهميتها الإستراتيجية القديمة .

وقد لعبت تلك الظروف دورها في حياة الاستقرار وجعلت من العربية السعيدة مركزاً لمجتمعات مستقرة مزدهرة ، ومن ثم قيام حضارة يمنية عريقة عاصرت حضارات مماثلة لها الأثر في التاريخ[٤] ،وقد اشتهرت الدولة الحضرمية بإنتاج المواد العطرية المقدسة (اللبان والمر والصبر) وهي من السلع المشهورة في العالم القديم لما لها من أهمية عظيمة في الطقوس الدينية ، بل بلغت أوج ازدهارها في الفترة الممتدة من القرن الأول ق.م وما تلاها ، حتى أصبحت حضرموت والعربية السعيدة عموماً تحتل مكانة خاصة في مجال إنتاج السلع المقدسة[٥] ، وبذلك يمكن القول أن مورداً مهماً من موارد القوة كان متاحاً لأهل حضرموت وأهل الممالك اليمنية الأخرى آنذاك، مما جعل عنصر المال متوفراً لديهم للإنفاق في ما يلحق بالنشاط الزراعي كبناء السدود والقنوات والصهاريج .. وما يلحق بالنشاط العمراني كبناء المستوطنات البشرية وملحقاتها من القصور والمعابد والأسوار...الخ .

وقد كانت أهم المستوطنات البشرية التي ظهرت في حضرموت خلال هذه المرحلة القديمة ،تريم وشبام والشحر وريبون وحريضة ، بالإضافة إلى عاصمتها التاريخية شبوة، وميناءها قنا (بير علي حالياً) وغيرها. ويكاد يغطي توزيع هذه المستوطنات المساحة الحالية لحضرموت مما يدل على معرفة سكانها بالاستيطان البشري والعمران منذُ عهود بعيدة ، كما تمثل اهتمام سكان حضرموت بالعمران من خلال العناية بشبكة الطرق البرية الرابطة فيما بين مستوطناتهم أو مع المستوطنات اليمنية القديمة كصرواح ومأرب وقرناو وتمنع وصنعاء وعدن وغيرها.[٦]

ب – خلال العصور الإسلامية الأولى والوسطى:

ونعني بها الفترة الممتدة من ظهور الإسلام وحتى قيام الدولة العثمانية ، وقد ازدهرت في هذه الفترة الكثير من المستوطنات البشرية في حضرموت واليمن عموماً حيث

---

٤) نامي، خليل يحيى : العرب قبل الاسلام ، دار المعارف، ١٩٨٩م، ص٩٦. ورضا جواد الهاشمي : آثار الخليج والجزيرة العربية ، بغداد ، ١٩٨٤م، ص ١٧٧، ١٧٨، ١٨٤.

٥) النعيم ، نورة عبدالله العلي : الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن ٣ ق.م وحتى القرن ٣ م ، ط١ ، دار الشواف ، الرياض، ١٩٩٢م، ص٣٦.

٦) باحاج ،عبدالله سعيد:تطورالعمران في محافظة حضرموت –رؤية عامة ، مجلة الفكر، عن جمعية أصدقاء المؤرخ سعيد عوض باوزير، غيل باوزير، العدد(٦)،إبريل –يونيو ١٩٩٧م، ص١٢.

زادت رقعتها العمرانية من خلال إنشاء المنازل والقصور المساجد والأربطة والأسبلة والقلاع والحصون والطرق والأسواق،ومتطلبات النشاط الزراعي من سدود وقنوات الري وغيرها،وقد وفرت عناية الإسلام بالجهاد وصناعة السلاح والتجارة والزراعة والحرف الأخرى وكذلك نشر العلم أرضية خصبة لنمو وتطور العمارة والعمران، ليس في حضرموت وحدها،بل أيضاً في عموم البلاد الإسلامية بأسرهاومن ذلك اتسعت الرقعة في حضرموت،وفي المستوطنات القديمة كتريم وشبام والشحر وغيرها، كما أنشئت مستوطنات جديدة أقيم بعضها بجوار الأراضي الصالحة للزراعة كغيل باوزير والحامي والديس الشرقية وريدة عبدالودود في ساحل المشقاص أوعلى ضفاف وادي حضرموت بروافده كالقطن وبعض مستوطنات وادي دوعن وعمد ووادي حجر وغيرها.[٧]

ج – في العصور الحديثة:

وهي تشمل فترة الحكم العثماني وما تلاه،ويلاحظ أن العهد العثماني في حضرموت واليمن عموماً كان ذا صبغة عسكرية وحربية بسبب مقاومة السكان لسلبيات وجود العثمانيين وما عرف عنهم من قسوة بعد أن أخضعوا معظم الأراضي الساحلية لشبه جزيرة العرب لحكمهم بما في ذلك معظم أراضي اليمن،وكذا بسبب حالة الفوضى والاضطرابات السياسية والاجتماعية والأمنية في حضرموت بين الزعامات المحلية حتى أصبحت أشبه بدويلات المدن،وهو الأمر الذي ألقى بظلاله على نمط العمران المدني،والاهتمام بنمط العمران العسكري الحربي كإحاطة بعض المستوطنات بالأسوار والبوابات وأبراج المراقبة وبناء القلاع أو الحصون بقصد الدفاع والحماية من الغزو[٨].

وهكذا لم يشهد العمران في حضرموت تطوراً ملموساً خلال الحقبة العثمانية وما تلاها من اضطرابات سياسية واجتماعية وأمنية إلى أن جاء الاستعمار البريطاني إلى هذه المنطقة وسيطر عليها لأكثر من قرن وربع القرن واستخدم كل ما لديه من قوة عسكرية واقتصادية ودهاء ومكر سياسي لنشر الأمن والاستقرار مما دفع بالسكان إلى العودة بالاهتمام بشؤون العمارة والعمران الدينى والدنيوي فاتسعت المساحة المستغلة لأغراض البناء والتعمير،وشقت الطرق الرابطة بين ساحل حضرموت وداخله ، بل ساهم أهل حضرموت خاصة الأثرياء في الداخل أو المهجر في ازدهار هذا العمران ،

---

٧) باحاج : المرجع نفسه ، ص١٢.
٨) نفس المرجع والصفحة.

ومن ذلك مساهمتهم في بناء المساجد والأربطة والقصور والاستراحات والأسبلة وصهاريج المياه والمخازن التجارية والطرق وغيرها من المنشآت هكذا كانت عمارة المستوطنات وملحقاتها في حضرموت في العصور الإسلامية الأولى والمتوسطة وما تلاها من فترات الحكم العثماني حتى مجيء الاستعمار البريطاني .

أما عن طبيعة المباني التقليدية ، خاصة في العصور الإسلامية وماتلاها فقد شيدت المباني في حضرموت باستخدام ثلاث مواد رئيسية هي الحجر والخشب والطين ومواد أخرى، وبحسب المعطيات المعمارية أن هذه الأخيرة (الطين) كثيرة الانتشار في المكان والزمان ، وكما هو واضح تمتد بيوت الطين على طول الأرض اليمنية وعرضها ، وتعتبر مدينة شبام من الأمثلة الحية والناطقة بفنون الهندسة المعمارية الطينية في اليمن بشكل عام ووادي حضرموت على وجه الخصوص ، فهي تتميز عن بقية المدن بعلو مبانيها والتي تصل إلى تسع طبقات من الطين وهذا فيه نوع من الجرأة الهندسية (أنظر الملاحق) ، غير أن هناك مدن قديمة أخرى في وادي حضرموت ، غنية بتراثها المعماري التقليدي الفريد ، مثل تريم وحريضه وريبون وسيئون والقطن وغيرها ، وفي ساحل حضرموت مدينة الشحر (الميناء الحضرمي الثاني بعد التخلى عن الميناء القديم (قنا) في أواخر القرن السادس الميلادي) ، ومدينة المكلا عاصمة حضرموت وميناؤها بعد الشحر حتى يومنا هذا ، بالإضافة مدن أخرى كالحامي والديس الشرقية وريدة عبد الودود وغيل باوزير وغيرها .

وهكذا تم خلق أحد المنجزات البشرية الآخادة في وادي حضرموت وساحله ، فنالت اهتمام العديد من المنظمات الدولية وفي مقدمتها اليونيسكو ، وقدمت المساعدات المالية والخبرات الفنية اللازمة لحمايتها والحفاظ عليها ، وكذلك نالت تلك المنجزات البشرية المعمارية إعجاب واهتمام العديد من الباحثين المستشرقين منهم والعرب . ولعل السبب في ذلك تميز تلك العمارة بميزات معمارية فريدة في نوعها من حيث البناء والتصميم، ومن أبرز الشواهد على ذلك الفن بقاء تلك العمارة عشرات بل مئات السنين صامدة أمام العوامل البيئية والجغرافية بأنواعها ، وتمثل ناطحات السحاب بشبام خير مثال على ذلك (أنظر الملاحق).

وقد أهتم الكثير من الباحثين بذلك الارث المعماري الحضرمي ، وبشكل خاص المباني ذات الطابع الديني كالمساجد والأضرحة والمنارات والأسبلة ، وكذا الطابع العسكري كالأكوات أو الحصون بالإضافة إلى المنازل والقصور الجميلة ذات الطابع التقليدي المحلي ، وأخرى ذات تأثير أجنبي – جنوب شرق آسيا (شبة القارة الهندية وأرخبيل الملايو). ومن بين أولئك الباحثين الباحث الأمريكي (د. إنج سنج هو) الأستاذ

المشارك في جامعة هارفارد الأمريكية الذي جعل عنوان كتابه الذي حظي بشهرة كبيرة لدى القارئ الغربي: قبور أو أضرحة تريم (٢٠٠٦) The Graves Tarim ، وكتبت عنه مجلة الجارديان البريطانية الشهيرة واعدته من أحسن الكتب وأروعها ، وكذا الباحث الياباني (كازو هيرو اراي) قام بدراسة لبعض المعالم المعمارية الدينية في حضرموت ، انتهت بأعداد كتاب جديد (٢٠٠٦م) عن قباب حضرموت الدينية ، وقد قام بتصوير مايربو على مائة قبّة اثناء زيارته لحضرموت ، ولعل أهمية تلك العمارة (في نظر هذا الباحث الياباني) ليس في مجرد بنائها الهندسي والمدني فحسب، بل في ماعكسته من مجالات ثقافية متنوعة ، وهذا سر أهتمام الكّتاب الأجانب بها، أيضاً قبل هؤلاء الباحثين عكف الباحث (د.رونالد ليوكوك) على دراسة ذلك الأرث واعداد الأبحاث التالية :(حفظ وتوثيق النصب والمواقع التاريخية في اليمن الجنوبي، اليونسكو، باريس١٩٨٠) و(وادي حضرموت ومدينة شبام المسورة ، منشورات اليونسكو، ترجمة دائرة .الترجمة وزارة التربية والتعليم ، عدن ، ابريل ١٩٨٣). وأيضاً م. رايميكرز(مدن حضرموت وعمرانها في مجلة الجمعية الملكية لوسط آسيا ، المجلد ٤٠ ،١٩٥٣)وأبحاث أخرى لروبرت سارجنت وهارولد انجرامس .. وغيرهم.

كذلك حظي الإرث المعماري في حضرموت باهتمام العديد من الباحثين العرب بما فيهم اليمنيين ، لما تحتله العمارة التقليدية وخاصة الطينية من تميز تقني وثقافي .. بل قاموا بإعداد الدراسات والبحوث في هذا المضمار . ومن بين هؤلاء الباحثين : د.سلمى سمر الدملوجي (وادي حضرموت – هندسة العمارة الطينية بيروت،١٩٩٥) و(مدينة شبام المعاصرة– تقويم معماري– الندوة العلمية لصيانة مدينة شبام وآثار وادي حضرموت– فبراير ١٩٨٨م) ، وريم عبد الغني (دراسة في أسس التنظيم المعماري للعمارة التقليدية في اليمن مثال مدينة شبام – بحث لنيل درجة الدبلوم – جامعة دمشق ١٩٩٦م) وغيرهم كثيرون (أنظر الملاحق – نماذج من العمارة الحضرمية).

أما دراسة الحالة التي تم اختيارها من حضرموت فهي منشآت ومعالم غيل باوزير التقليدية المتوارثة ، لان المجال هنا لا يتسع لدراسة الأنماط المعمارية لكل مدن وقري حضرموت بل يتطلب إلى أبحاث أو مجلدات لذا كان أختيارنا لتلك الحالة ، بل اختيارنا لدراسة هذه الحالة لم يأت من فراغ ، لأن غيل باوزير تعد الأحدث من حيث النشأة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) إذا ما قارناها بأغلب المدن الحضرمية القديمة كتريم وشبام والشحر وغيرها، ورغم ذلك نجد الكثير من معالمها قد اندثر (سادت ثم بادت) والبقية الباقية نراها عرضة للإهمال والعبث ، وبحاجة إلى العطف والحماية . إذاً ما ذا

عسانا أن نقول عن تلك المدن الحضرمية القديمة ومنشآتها .. وهو الأمر الذي سيناقش في سياق هذه الورقة.

ثانياً : معالم غيل باوزير المعمارية بين الخبر و الأثر :

١- لمحة موجزة عن غيل باوزير :

- الموقع والحدود والسكان :

تعتبر مدينة غيل باوزير ذات تركيبة مختلفة عن معظم مناطق حضرموت خاصة واليمن عامة ، وهذا الاختلاف ميّزها دون غيرها من المدن ، حيث منحها أماكن للتجمع المائي ، أدى إلى شق القنوات ونمو الزراعة وتطورها فأكسبها ذلك أهمية اقتصادية ، كما أكسبها موقعها بين السهول والجبال أهمية سياسية ، عكس ذلك ازدهارها في الجوانب الاجتماعية والثقافية ، وإذا ما أردنا أن نوضح موقعها فهي تقع بين خطي طول (٤٦، ٤٨) وبين خطي عرض (٥١، ١٤) و (٤٤ـ١٤) شمال خط الاستواء ، وهي من المدن الواقعة في جنوب حضرموت إلى الشمال الشرقي من مدينة المكلا وتبعد عنها بحوالي (٥٠كلم) ، كما أن هذه المدينة برواسيها تعتبر من المدن المرتفعة عن سطح البحر،حيث يبلغ ارتفاعها عن ساحل البحر من(٨٠ـ٣٠٠) متر[٩].

وقد احتلت بذلك موقعاً استراتيجياً هاماً عكس أثراً إيجابياً على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، بل تميزت عن غيرها من مدن حضرموت بوقوعها بين السهول الساحلية والجبال ، فهي بذلك نقطة انطلاق نحو المنطقة الساحلية ، ومنها نحو المنطقة الجبلية ، لذلك كانت محل اهتمام الدول التي ظهرت في حضرموت ، سواء كانت الدولة الكثيرية الأولى (١٤٩٥ ـ ١٧١٧م) والثانية (١٨٤٥ ـ ١٩١٩م) أو إمارة آل بريك (١٧٥١ ـ ١٨٦٦م) والدولة القعيطية، وإخضاع مدينة الشحر لأية دولة كان يعني السيطرة على غيل باوزير ، لأنها دائماً تتبع السلطة الحاكمة في الشحر ، لذلك كانت دائماً موضع صراع بين تلك الدول.[١٠]

---

٩) جمعية غيل باوزير التعاونية ، دراسة موجزة لحفر وتجهيز آبار وصيانة سواقي مديرية غيل باوزير (٢٠٠٤/١/١٠م) تقرير غير منشور. وجروان ، عدنان : مدينة غيل باوزير ـ دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية (١٩٣٦ـ١٩٦٧م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عدن، ٢٠٠٦م ، ص٩-١٠.

١٠) باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، ط٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ص١٧٢-١٧٣.عكاشة، محمدعبدالكريم ، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (١٨٣٩-١٩١٨م) ، ط١، دار ابن رشد، عمّان، الأردن، ١٩٨٥م. ص٣٨-٣٩ ، ١٤٠-١٤١.

وبالنسبة لحدود الغيل فتتغير من وقت لآخر وحسب المعطيات السياسية التي تحدث في الدولة التي تحكم المدينة ، ولعل حدودها منذُ فترة خضوعها للسلطة القعيطية (سنة ١٨٧٥م وما تلاها) كانت الحدود الشمالية والغربية هي سلاسل جبلية ومنطقة النقعة ، ومن الجنوب منطقة شحير وبحر العرب ، ومن الشرق مناطق القارة وحباير والصداع[١١]، وقد ظلت هذه الحدود حتى الاستقلال (١٩٦٧م) ، حيث أصبح لاحقاً لها تقسيم إداري جديد لتكون مركزاً تابعاً لمديرية المكلا ، ومن ثم كمديرية من مديريات محافظة حضرموت (أنظر الخريطة).

وإرتبطت بمدينة الغيل منذ نشأتها وخلال مراحل تطورها المختلفة قرى صغيرة تقع في محيطها أو ضواحيها ، وهذه أثرت وتأثرت بها على مختلف الأصعدة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، والقرى هي : شحير والنقعة والقارة وحباير والصداع ، ويقترن اسم المدينة باسم مؤسسها الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير[١٢] الذي يعود له الفضل في إظهارها وإشهارها كمدينة معمورة آهلة بالسكان ، أما (لفظة) الغيل فهي تعني في اللغة العربية (الماء الجاري على وجه الأرض ، أو كل وادي فيه عيون تسيل، وفيه من الشجر الكثيف ..) إجمالاً ففي هذين المعنيين ينطبق اسم الغيل على مدينة غيل باوزير ، حيث تكثر فيها العيون والمياه الجارية ، وتحيط بها الأشجار، إضافة إلى تميزها بتربة صالحة للزراعة.

أما سكانها فعند قدوم الشيخ المؤسسي (باوزير) لم تكن بالمدينة تجمعات سكانية بالمفهوم المتعارف عليه اليوم ، بل كان يتواجد بها مجاميع من البدو الرحل غير

---

١١) الجهاز المركزي للإحصاء، حضرموت وثيقة رقم (١).

١٢) آل باوزير في حضرموت: يعود نسبهم وكنيتهم إلى الوزير العباسي علي بن طراد الذي كان وزيراً لبعض الخلفاء العباسيين (الخليفتين المسترشد والمقتفي) وقد هاجرت هذه الأسرة إلى حضرموت قادمة من العراق (يعقوب وأبنائه الثلاثة عمر وعبدالله ويوسف وحفيده سالم بن عبدالله) وفي الخيصة (اسم المكلا القديم حينما كانت مرفأ صغير لسفن الصيد) توفي يعقوب ودفن بها (مقبرة يعقوب) ، وانتشر هؤلاء في حضرموت لنشر العلم ، وبعد فترة توفى يوسف في حجر وأخوه عمر في الشحر ، وبقى عبدالله الذي انصرف إلى تربية ابنه سالم حتى كان زواجه ، وهذا بدوره أنجب ابناً أسماه محمد بن سالم المعروف الآن (بمولى عرف) ، وهو الوارث الوحيد لأسرة آل الوزير المهاجرة من العراق والجد الأول لآل الوزير في حضرموت، ولمحمد بن سالم ثلاثة أبناء هم : أبوبكر وسعيد (في حورة) وعمر، وهذا الأخير هو الذي بني الغيل الأسفل المعروف بغيل عمر عام ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) ، وهو والد الشيخ عبدالرحيم بن عمر مؤسس غيل باوزير وواضع لبناتها المعمارية الأولى (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) ولمزيد من التفصيل عن ذلك انظر: باوزير، مزاحم بن سالم : البدر المنير في رفع الحجاب عن نسب آل باوزير ودفع الالتباس عن من لا يعلم أن آل أبي وزير من بني العباس ، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ١٣٢٩هـ ، ص١٨-٤٨.

مستقرين، متخذين منها محطة واستراحة لقوافلهم ، وبوصول الشيخ باوزير إليها أشهرها كمدينة معمورة بالسكان، حيث استقدم إلى غيل باوزير من حضرموت الداخل مجموعة من العوائل تعتبر من أوائل السكان ، وهكذا بدأ الناس يتوافدون إلى الغيل للاستقرار بها ، بالإضافة إلى قدوم بعض القبائل المسلحة ، ولعل أشهرها (قبيلة آل عمر باعمر) التي تمتد جذورها إلى عهد الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير (حفيد المؤسس) الملقب بمولى الطرائق ، وذلك حوالي منتصف القرن التاسع الهجري.
كما قدمت إلى الغيل بعض القبائل اليافعية واستقرت بها كآل همام ، والقعطه[١٣] والنقيب والحضرمي ، وآل علي جابر وآل الخلاقي وغيرهم من فخائد القبائل اليافعية القادمة من يافع السفلى والعليا.

٢- العمارة والعمران في غيل باوزير :

أ – المدينة القديمة بغيل باوزير :

سبق أن أشرنا إلى أن هذه الأرض كانت خالية من السكان والعمران قبل قدوم مؤسسها إذ يعني قدومه إلى الغيل هو بداية العمران ببناء داره غرباً في منطقة الكوم ومن ثم مسجده الجامع(أول منزل وأول مسجد في الغيل)ومن ثم بدأت تنتشر المساكن حوله،بل ظل التوسع العمراني ينتشر في نواحي عديد من الغيل كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

ولا زال الكثير من عمران المدينة من منازل ومساجد وغيرها من المنشآت القديمة قائماً ولو أن بعضه في العقود الأخيرة ومع تطور مناحي الحياة العصرية قد تعرض للعبث ومن ثم الهدم بسبب الإهمال أو المتاجرة بالأرض ، ولعل البعض لم يطلها الهدم الكلي ، بل تعرضت للهدم الجزئي بحجة التحديث . وهنا وجب التنويه إلى أن عمليات الترميم المستمرة وعلى مدى فترات زمنية طويلة أثبتت خطورتها لاحقاً ، وذلك في ظل جهل السكان بأهمية الحفاظ على موروثهم ، حيث تبين لاحقاً أن هذه العملية الترميمية أدت في الأخير إلى تغيير ملامح المنشآت وطغت الملامح الحديثة على النمط التقليدي فيها . فالزائر اليوم لمدينة غيل باوزير القديمة وضواحيها سيلاحظ ذلك بشكل واضح وجلي في عمارتها وعمرانها ، مما يتطلب وقفه جادة تجاه الخطورة لهذا الهدم للعمران التقليدي كملمح تاريخي يجب الحفاظ عليه.

---

١٣) القعطة : صيغة جمع لآل القعيطي.

ب – مستوطنات قديمة في ضواحي غيل باوزير :

– بطاح القور :

يطلق هذا الاسم ــ بحسب الرواة ــ على الأرض الواقعة في ضــواحي الغيــل شمال شرقي منطقة القارة ، بجوار بعض الأراضي الزراعية التي يطلق عليها تسمية (المعابين) كمعيان سرور ومعيان الحرث (ما زالت قائمة) ومعيان سعيد عبــدالله بــن دحمان (أرض بور حالياً) ، وفي هذا المكان المعروف ببطاح القور توجد بقايا أطلال مستوطنة عمرانية كبيرة بمنازلها وحضونها .. ويبدو أن ظهورها كموستطنة ســكنية كان بعد وصول الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير إلى هذه البقاع (غيل باوزير) بفترة وجيزة ، ولعل هذه المستوطنة بحسب المصادر الشفهية لقبيلة آل عمر باعمر[١٤] (انظر اللوحة في الملاحق) .

– مصايف ريفية في الضواحي :

معظم الأسر الحضرمية تنتقل بأجمعها للاصطياف من المدن والقرى والسواحل إلى الضواحي والأرياف والأودية في فصل الصيف ويسمونه (الخريف) حيث يجنون الرطب والفواكه الأخرى ، ولكن اعتمادهم على الرطب الطازج الحلو المنوع يأكلون منه عدة أكلات في اليوم وبعضهم يكتفون به عن غيره من المأكولات طيلة مقامهم في الصيف ، ويقضون أوقاتهم في فرح ومرح وسمر وزيارات بعضهم البعض ، وعناية بمصائفهم ونخليلها وأطيانها.[١٥]

وتلك أيضاً من عادات وتقاليد مدينة غيل باوزير وبعض المناطق المجاورة لهــا كشحير، إذ تنتقل الكثير من الأسر إلى الاصطياف أو كما يسمونها (الــضعيفة) ومــن أشهر المصايف التي يضعن لها أهل الغيل هي : (الدروع والديوان والفرجة ...الخ). وتستمر أيام وليالي الضعيفة في تلك المصايف أو الضواحي الريفية مدة تتراوح ما بين بداية شهر يونيو وحتى شهر أغسطس ، وقد استمرت تلك العادات إلى فترات زمنيــة قريبة ، والملاحظ أنها غالباً تصادف العطلة المدرسية الصيفية ، والأكثر أهمية في هذا

---

١٤) لم نقف على أية معلومات عن هذه المستوطنة في المصادر الكتابية ، إلاّ ما يرويه بعض المعمرين من أهالي المنطقة على أنها مساكن لآل عمر باعمر ــ أو ربما لغيرهم ــ ولكن الأرجح أنها لهم لأن هجر المستوطنة بالكامل يتطابق تماماً مع صراع قبيلة آل عمر باعمر والسلطة القعيطية التي تمكنت من السيطرة على الغيل والقضاء على آل عمر باعمر ــ ومن مصادرنا الشفهية عن هذه المستوطنة المعمرّ عمر خميس بن دحمان ٩٥ عاماً تقريباً (يسكن منطقة القارة بجوار المستوطنة) وعبدالله سعيد بن دحمان (٧٣ عاماً) عن رواية والده المالك لمعيان بن دحمان بجوار تلك المستوطنة.

١٥) الشاطري، محمد بن أحمد : أدوار التاريخ الحضرمي (ج٢) ، ط١، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٧٢م ، ص٢٨٢–٢٨٣.

الجانب المستوطنات الريفية لأهالي الغيل (ديارهم القديمة) وما آلت إليها من إهمال وعبث بسبب تراجع عادة الاصطياف مع مرور الزمن وربما بسبب الحياة العصرية للأهالي كان التراجع عن هذه العادات والتقاليد ، الأمر الذي نتج عنه هجر منازلهم وإهمالها وعدم العناية بها حتى غداً الكثير منها أثراً بعد عين ، بل أن الزائر لها اليوم لا يرى إلاّ أطلالاً وخرائب آيلة للاندثار ، وفي (نظري) أن ما تتعرض له هذه الثروة التراثية القديمة من عبث بقصد أو بدون قصد نتيجة لجهل قيمتها التاريخية أو بسبب الإهمال ومن ثم الهدم أو المتاجرة بالأرض.

وفي نهاية المطاف سيكون مصير هذا الموروث المعماري الصيفي كمصير مستوطنة بطاح القور السابقة الذكر ، بل أصبح مصير أغلبها كذلك ولم يبق منها في ذاكره الأجيال الحاضرة والقادمة إلاّ ما سيروي عنها من أخبار وروايات.

٣- معالم معمارية سادت ثم بادت :

أ – عمارة أول مسجد في غيل باوزير :

هو مسجد الجامع الذي بناه الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير عام ٧٠٦هـ (١٣٠٦م) وهو العام الذي يقترن بقدوم الشيخ إلى هذه البقاع ووضع اللبنات الأولى فيها للمدينة ببناء مسكنه في منطقة الكوم غرب المدينة ، ومن ثم بناء مسجده الجامع ، وكان المسجد عبارة عن بناء صغير مربع الشكل تقريباً وما يتناسب مع عدد السكان القاطنين بالمدينة آنذاك،وكان سقفه من الأخشاب المحلية ،معتمداً على ساريتين(قائمتين) متباعدتين بمسافة نحو ستة أذرع ،وله ثلاثة أبواب أحدهما في زاوية المسجد والثاني ينفد إلى(الجوابي)وهي أحواض المياه المقامة لغرض الاغتسال والوضوء،والثالث ينفد إلى مبنى صغير مستطيل الشكل يسمّونه(الضيقه)ويحتمل أن تكون هذه الضيقه هي المدرسة التي أقامها الشيخ عبدالرحيم لأبنائه وأحفاده ولمن يرغب بالتعليم من أبناء المنطقة.[١٦]

ومع مرور السنين وبحسب الحاجة عند ازدياد عدد السكان في غيل باوزير تمت توسعه المسجد ، وقبل عام ١٣٦٧هـ كانت للمسجد منارة طويلة على الطراز الإسلامي القديم مبنية من الطين ، وهيئتها تدل على أنها بنيت بعد وفاة الشيخ المؤسس بفترة طويلة ، وهكذا ظلت عمليات التوسعة للمسجد مستمرة حسب حاجة السكان ، وفي نحو عام ١٣٨٢هـ في عهد السلطان عوض بن صالح القعيطي وما تلاها من

١٦) الملاحي ، أحمد عبدالقادر، كتاب المذكرة التاريخية (مخطوط) ، ص٢-٣ . وباوزير : المرجع السابق، ص١٠٣.

فترات تم توسيع وتجديد عمارة المسجد حتى أصبح على ما هو عليه الآن مبنياً بالطراز الحديث ، أما بالنسبة لمنارة المسجد القديمة فقد هدمت في نهاية عام ١٣٨٢هـ وبنيت بدلاً عنها منارة طويلة وحديثة ، وكان تاريخ الانتهاء من عمارة المسجد ومنارته في شهر ذي الحجة عام ١٣٨٢هـ الموافق ٢٩ إبريل عام ١٩٦٣م وذلك بواسطة المعلّم أو المقاول يسلم مقرم ، والاستعانة بأستاذ الرسم والفنون في المسجد.[١٧] هذا مما يدفعنا إلى القول أن النمط الأول القديم للمسجد لم يعد معروفاً اللهم ما يتداولة الرواة.

أن مثل هذه الحالة تنطبق على معالم معمارية دينية كثيرة في حضرموت عامة وغيل باوزير خاصة ، كالمساجد والقباب والزوايا والاسبلة وغيرها ، وحسب علمنا أن الكثير من المساجد القديمة في الغيل وضواحيها طالتها معاول الهدم بحجة التجديد ومنها مسجد بانصر ومسجد الروضة ، ومسجد الشيخ ، ومسجد اليافعي ، ومسجد باهارون.. وغيرها من مساجد الغيل ، وحلّت مكانها أبنية حديثة[١٨]. فهل يحق تهديم هذه المساجد وطمس معالمها التاريخية بحيث يقام على أنقاضها مساجد جديدة لا تشبهها لا من قريب أو بعيد كما عرفها الناس في هذه المدينة ؟ ونحن هنا مع صيانة وترميم وتوسيع وتحسين المسجد الذي لا يفقده نمطه ومميزاته القديمة ، وضد هدم المسجد وتغيير معالمه التاريخية التي أضحت معلماً من معالم المدينة التي تمثل هوية أهلها. ولكن للأسف ظلت هذه التعديات مستمرة ليس في الغيل فحسب بل مناطق أخرى من حضرموت واليمن عموماً ،وخير شاهد على ذلك ما حل بنمط عمارة مسجد أبان في عدن ، وكذا ما حدث من اعتداء وتهديم لمسجد الغريب في وادي بن علي أواخر ٢٠٠٥م(انظر الملاحق)،وكذا مؤخراً الهدم الذي حلّ بمئذنه مسجد بازرعه التاريخية في مدينة المكلا ويبدو أنه قد تم الشروع في إعادة بنائها على نمطها السابق.

ب – الأسبلة :

مفردها سُبل وتسمى سبيل أو (سقاية) في اللهجة الحضرمية والمعروف أن الأسبله نمط من أنماط العمارة الإسلامية المنتشرة في البلاد العربية الإسلامية ، خاصة على طرق القوافل التجارية وقوافل الحجّاج إلى الأراضي المقدسة ، ولعل الكثير منها ما زال قائماً في مصر والحجاز وبلاد الرافدين والشام واليمن وبلدان المغرب العربي،

---

١٧) الملاحي : المرجع السابق، ص٣.

١٨) لمزيد من التفصيل عن هذه المساجد انظر: بن شيخان، سامي : نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير، مكتبة الثقافة، عدن ، ودار التيسير ، صنعاء، ١٩٩٩م، ص٣٧-٣٨.

ومن أبرزها تلك التي أنشأت بمكة ومحيطها[١٩]،وقد شاهدت الكثير من هذا النمط المعماري الإسلامي في تونس وكذا أنماط معمارية إسلامية أخرى بحالة سليمة،وذلك بفضل جهود الجهات المسئولة هناك في الحفاظ على موروثها،لأنها تمثل هوية هذه الأمة وتاريخها،بل تندرج تلك الجهود في طريق الاهتمام الحكومي بالنشاط السياحي[٢٠]

أما بالنسبة لحضرموت فهي كغيرها من البلاد العربية الإسلامية غنية بمثل هذا النمط المعماري ، أي أن أسبلتها وإلى وقت قريب كانت منتشرة في الكثير من مدنها وقراها وعلى طرقها القديمة ، إلاَّ أن حظها في الديمومة كان ضئيلاً بسبب الإهمال والعبث الذي طالها ، بل أصبحت أغلبها إذا لم تكن كلها أثراً بعد عين ، وبالنسبة لغيل باوزير وضواحيها ، فعلى طرقها السالكة إلى القرى في ضواحيها ، وعلى طرقها السالكة إلى الشحر تنتشر الكثير من الأسبلة ، ولعل أشهرها (سقاية بن عقيل) المقامة بين قريتي الصداع ومعيان المساجده ، وهي كثيراً ما نجدها شاهداً يتغنى بها الشعراء الشعبيون في أشعارهم ، والمعروف أن هذه الأسبلة أقيمت كمحطات مياه ليستقي منها الناس ، لذا كانت قديماً محط اهتمام الحكام آنذاك ، وكذلك وجوه الأقوام في تلك النواحي ، والزائر اليوم إلى حضرموت عامة وغيل باوزير خاصة سيتفاجأ لعدم وجود هذا النمط المعماري التاريخي إلاَّ ما ندر منها كاطلال تندب حظها في البقاء ، باستثناء ثلاث سقايا قديمة في مدينة الطين شبام حضرموت ، وقد تم ترميمها من قبل مؤسسة التعاون اليمني ــ الألماني (G.T.Z) ، وهي (الأسبلة) رمز للتكافل الاجتماعي والعمل الإنساني الذي شهدته المنطقة منذُ قرون ، كسقاية بوادي بن علي وسقاية كربان وسقاية تحت سور شبام الشمالي.

ج – حصن الرقيمي :

أحد الحصون القديمة الذي يقع في الجهة الشرقية من غيل باوزير ، وهو من المعالم المعمارية ذات النمط العسكري، ولعل بناؤه كان بهدف إعداده للحرب والدفاع ... ويحيط به خندق عميق من جميع الجهات ، ويعتقد – حسب المصادر الشفهية – بأن بناؤه كان على عهد الحكومة الرسولية الغسانية التي حكمت كل اليمن وحضرموت

---

١٩) عبدولي، جمال: مصادر المياه والمنشآت المائية بمكة وما حولها في الجاهلية والإسلام، مجلة أفريقيا، العدد (١٩) ، المعهد الوطني للتراث، تونس، ٢٠٠٢م، ص٦٨.

٢٠) أثناء دراستي في الجمهورية التونسية لنيل شهادة الدكتوراه (٢٠٠٠-٢٠٠٤م) شاهدت الكم الكبير من أرثهم المعماري الإسلامي ومدى عناية الجهات المختصة في الدولة به ، لأن هذه الثروة التراثية تمثل هوية الأمة ، بل كان ذلك من أوليات الدولة وتوجهاتها نحو الاهتمام بالأنشطة السياحية.

والشحر الى نهاية ظفار في الفترة ما بين ٦٢٦ – ٨٥٩هـ[٢١]، وقيل بناؤه كان في القرن التاسع الهجري ، يقال أيضاً أن آل رسول تركوه لحكام الشحر من آل كثير وكانت حينها الغيل خاضعة لحكمهم ، كما قيل أن آل كثير في عهد السلطان بدر بن عبدالله الكثيري الملقب بأبي طويرق كانوا يستخدمون الحصن كسجن للأسرى البرتغاليين وغيرهم، ثم صار هذا الحصن وما حوله من أراضي لآل بن همام ، وفي رواية أخرى أن السلطان الكثيري اقتطع أرضاً لأحد رعاياه ويدعى (همام بن سعيد بن همام) وقيل (رقيم بن همام) فبنى عليها حصنه الذي عرف بحصن الرقيمي[٢٢].

وفي أواخر القرن (١٣هـ) على عهد السيطرة القعيطية لغيل باوزير تم هدم الحصن ، وبقيت آثاره الى حوالي عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٤م ثم طمست بالكامل وصار موقع الحصن ساحة فارغة لفترة خمس سنوات تقريباً حتى أصبح مكانه معلباً لكرة القدم الى يومنا هذا[٢٣].

د – حصن عبود :

أحد الحصون التابعة لآل عمر باعمر الذين كانوا يشاركون المشايخ آل باوزير في إدارة حكم غيل باوزيرن حيث كان المشايخ يقومون بالدور الاجتماعي والروحي والديني والعلمي، وآل عمر باعمر بالدور الأمني. وكان موقع الحصن في شرق الغيل في منطقة الصالحية، وقيل إن بناؤه ينسب لأحد وجوه القوم من آل عمر باعمر هو عبود بن سالم بن مردوف بن عمر باعمر، وقد طال الإهمال والعبث وأخيراً التوسع العمراني الحديث هذا المعلم ، وحل مكانه اليوم عمارة عمر عبدالملك بن همام[٢٤]، وتقول المصادر الشفهية إن أطلالة بقيت قائمة الى بداية الستينات من القرن العشرين وكانت توجد حوله مجموعة من (العرش) تستخدم لتجفيف التمباك[٢٥].

هـ – حصن ابن جابر اليافعي :

النقيب بن جابر من الزعامات اليافعية التي قدمت إلى غيل باوزير، وهو الذي حاول أن يفرض سيطرته على الناحية الغربية من غيل باوزير، ولهذا الغرض قام ببناء حصنه على قمة الجبل المشرف على مزرعة الفرات، ولأن هذا الحصن أصبح

---

٢١) الملاحي:المرجع السابق، ص٢٦. بن شيخان، سامي: المرجع السابق،ص٣٦ . وانظر: حمدان، خميس: الشحر عبر التاريخ ، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ٢٠٠٥م، ص٣١.

٢٢) الملاحي: المرجع السابق، ص٢٦ . والسقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله : إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ط١، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٥٠.

٢٣) الملاحي: المرجع السابق، ص٢٦ . وبن شيخان: المرجع السابق، ص٣٦.

٢٤) بن شيخان : المرجع السابق، ص٣٦.

٢٥) رواية عبدالله سعيد بن دحمان (شاهداً على أطلال الحصن).

مطلاً على قصر السلطان عمر بن عوض القعيطي الذي بنى لاحقاً – سيأتي الحديث عنه – فوجد قصره مكشوفاً تحت حصن بن جابر، لذا قام بشرائه من محسن احمد بن جابر[٢٦]. ويروي الأستاذ الملاحي إن بناء الحصن كان طابقين وسقف (ريم) وبجانبه بئراً حفرها النقيب ابن جابر، أما مصيره فقد كان الهدم من قبل السلطان عمر بن عوض القعيطي بهدف بناؤه على الطراز المعماري الحديث وبالفعل بدأ في تأسيسه (أنظر اللوحة في الملاحق) إلا أن وفاته حالت دون استكماله، وهكذا كان الطمس مصيراً لهذا الحصن[٢٧].

و – سور المدينة وبواباتها التاريخية :

ونعني هنا درب المدينة القديم الذي يعود بناؤه الى السلطان غالب بن عوض القعيطي (١٩١٠–١٩٣٦) وقد أوكلت هذه المهمة للجمعدار منصر بن عبدالله القعيطي حاكم مدينة الغيل، الذي شرع ببناؤه لحماية المدينة من الغارات أو الحروب[٢٨]، وشارك في بناؤه الأهالي من أبناء الغيل، وجعل لهذا السور بوابتان (سدتان) رئيسيتان (شرقية وغربية) ، ومنهما تمر القوافل والسيارات[٢٩]، وعلى البوابة الشرقية حصنين وعلى الغربية حصن واحد، وجعل لهاتين البوابتين خمسة بوابات فرعية صغيرة تسمى (مسالف مفرد ها مسلف) في أماكن مختلفة منه ، وهذه المسالف تستخدم للمارة وهي تربط المدينة بالأرياف القريبة والبعيدة وكذا المزارع والمقابر المحيطة بالمدينة، وكل ما يخص المدينة ويرتبط بها خارج السور، ولهذه المسالف مسميات هي: مسلف الحقاص ومسلف اليافعي ومسلف شفاء ومسلف باحميد ومسلف حسين[٣٠]، وعند كل مسلف حصن للحراسة كنقاط للمراقبة والتفتيش تسمى (أكوات أو نوب) يقوم عليها أفراد من الحاشية السلطانية، لأنها كانت تمثل مداخل ومخارج المدينة وإن كانت صغيرة، أما طول السور فيبلغ (١٧٠٠ متر) وعرضه متر واحد فقط ، ويبلغ ارتفاعه

---

٢٦) مذكرات الشاعر والراوية المعّمر محمد بن أحمد بن هاوي الملقب أبو سراجين (١٨٨٨–١٩٩٧م). وسامي بن شيخان : المرجع السابق، ص٤٣.

٢٧) الملاحي : المرجع السابق، ص٢٥.

٢٨) قبل ذلك شرع الجمعدار منصر في بناء مقر حكمه ومسكنه في غيل باوزيرالمعروف بحصن الأزهر.

٢٩) الملاحي : المرجع السابق، ص٢٤ . جروان: المرجع السابق، ص٤٦–٤٧.

٣٠) الملاحي : المرجع السابق، ص٢٤ . ورواية مبارك باهمز في مخطوطه مذكرات تاريخية وأدبية لمجمل الأحداث التي عاشها ونقلها عن سابقيه عن تاريخ مدينة غيل باوزير.

أربعة أمتار[٣١]، وبهذا السور نجحت السلطات القعيطية في حماية مدينة غيل باوزير وأحكام قبضتها عليها.

وفي أواخر أيام حكم السلطان صالح بن غالب القعيطي في حوالي عام ١٩٥٧م بدأ السور بالتصدع ولم يعر أي اهتمام ، بل الحكومة القعيطية ساعدت على تهديمه وتهديم البوابة الشرقية بهدف التوسع العمراني وتوسيع طريق السيارات ، أما البوابة الغربية في منطقة الكوم فقد ظل جزءاً كبيراً منها قائماً خاصة حصن البوابة الذي كانت تسكنه حاشية السلطنة (عبيد يسر وعائلته) حتى أواخر عام ١٩٩٢م ، حيث تم هدمه لغرض توسعه طريق السيارات[٣٢] ، وبذلك طمست معالم ما تبقى من عمارة هذه البوابة ، وهذا الحال ينطبق تقريباً على أغلب سدد (بوابات) مدن حضرموت إن لم تكن كلها باستثناء سدة مدينة شبام وسدة الشحر الشمالية (سدة العيدروس) والغربية (سدة الخور) وبالتالي يجب الحفاظ على العمارة الأثرية لهذه السدد والاعتناء بها حتى لا يكون مصيرها كمصير سدة المكلا وسدد غيل باوزير وتريم وسيئون وقصيعر وغيرها من مدن حضرموت التي أصبحت أثراً بعد عين. (انظر اللوحة في الملاحق).

٤- معالم تترقب عطف الجهات الرسمية والشعبية :

أ- المساجد :

سبق إن تحدثنا عن الكثير من المساجد ذات النمط التقليدي وعن وقوعها في دائرة الإهمال ومن ثم هدمها بالكامل ، واستبدالها بابنيه ذات طابع معماري عصري حديث، بدون التمعن في أصالتها وقيمتها التاريخية ، وهو الأمر الذي دفعنا إلى القول بضرورة العناية بالمساجد التي ما زالت قائمة، وإذا دعت الحاجة إلى ترميمها أو توسيعها (في نظري) يجب أن لا يكون على حساب إلغاء طابعها التقليدي.

ب- القباب :

القبّة هي بناء دائري المسقط مقعّر من الداخل مقبب من الخارج ، والقبّة هي أحد الأشكال الخاصة التي استخدمت في تغطية أسقف كثير من المباني على مر العصور

---

٣١) الجوهي، محمد سالم : النمو الحضري في ساحل حضرموت بين الشحر وحلّه ، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص١٢٥-١٢٦ . وبن شيخان: المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

٣٢) الملاحي: المرجع السابق، ص٢٤ . بن شيخان: المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

فيرجح أن القباب الأولى نشأت في بلاد ما بين النهرين والشرق الأدنى ، كما أن العمارة الرومانية والبيزنطية عرفت القباب واستعملتها في المباني[٣٣].

أما استخدام القباب في العمارة الإسلامية فله رؤية خاصة ، فهي لم تكن حلاً بيئياً ومناخياً أو إنشائياً وظيفياً فقط بل أيضاً رمزياً،حيث ترمز إلى السماء خاصة في المناطق المسقوفة من المسجد،حيث يعدها البعض صورة مصغرة لما كان يراه العربي في صحرائه من اتساع الأفق واستدارة السماء من فوقه ، لذلك جاء استعمال القباب في العمارة الإسلامية بأسلوب فريد ومميز عما سبقها من قباب الحضارات السابقة[٣٤].

وفي حضرموت عامة وغيل باوزير خاصة انتشرت القباب وخاصة في العمارة الدينية كالمساجد والأضرحة ، وقد تعرض الكثير منها للإهمال والعبث ربما عن قصد أو عن غير قصد ، بل أن كثيراً من تلك القباب آل مصيرها إلى الاندثار من جراء هدم المساجد لغرض توسعتها وتعميرها على الطراز المعماري الحديث ، أما قباب الأضرحة فلعل الكثير منها إذا تكن جلّها نجدها اليوم عُرضه للإهمال والعبث ، خاصة في ظل ما يقال حولها من أقاويل كتحريم زيارات الأضرحة وغير ذلك ، ولكنها في كل الأحوال ظل كأثر أو معلم من معالم المدينة ، وعلى أساس تلك الأقاويل ربما ستكون عرضة للإهمال وسيكون الزمن كفيل بانهيارها واندثارها إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار حماية هذا الموروث المعماري الديني وسبل الحفاظ عليه ، وهو الأمر الذي نراه يومياً في قباب غيل باوزير خاصة وحضرموت عامة ، وهو عكس ما نراه في بلدان عربية وإسلامية كثيرة ومنها مصر وتونس... وغيرها .

وقد تميزت غيل باوزير بهذا النمط المعماري (القباب) سواء كان في مساجدها أو قباب أضرحتها،وتنتشر هذه الأخيرة في غيل باوزير ومحيطها ومنها : قبة عمر بن محمد باوزير(عمر مولى الغيل)،وقبة شداد بن أحمد بن عمر باعمر ، وقبة حسين بن عمر سكران السقاف، وقبة محمد بن جعفر العطاس،وقبة عمر بن أحمد بن طاهر،وقبة فريد التي أزيلت بعد توسعه المسجد الجامع ، وقبة عمر بن عبدالرحيم باوزير(مولى الربع)،وقبة عمر الحقاص،وقبة عبدالرحيم بن عمر باوزير(مولى الجيش)وغيرها،ولا زال بعض هذه القباب قائماً إلى يومنا[٣٥]،ولو أن البعض منها قد أصابه التصدع،ولكن

---

٣٣) غالب، عبدالرحيم :موسوعة العمارة الإسلامية ، جروس برس، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص٣٠٩ . د. م. يحيى وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة ــ الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، كتاب عالم المعرفة، العدد (٣٠٤) ، الكويت ، يونيو ٢٠٠٤م، ص١٤٥.

٣٤) يحيى وزيري : المرجع السابق، ص١٤٥ – ١٤٦.

٣٥) بن شيخان : المرجع السابق، ص٣٨ – ٣٩.

شبح الإهمال والطمس،يظل دائماً الخطر الذي يهدد هذه الثروة التراثية إذا لم يتم التنبه لها ووضع السبل الكفيلة للحفاظ عليها(انظر اللوحة في الملاحق).

ج- دار الحضرة :

تعرف الحضرة بأنها اجتماع الناس ساعة ذكر الله والصلاة وقراءة مولد محمد رسول الله وحصول البركة من ذلك الاجتماع ، والحضرة في مسجد حريضة هي اجتماع في ذكر رسول الله وحصول البركة من ذلك الاجتماع ، وهي عبارة عن إنشاد يصاحبه الطبل[٣٦].. وعن المشايخ آل باوزير في الغيل بحسب رواية الأستاذ الملاحي أن لهم حضرة يجتمعون في بيت موقوف ، وينشدون مستخدمين الدفوف (الطيران) وأحياناً يستعملون المزمار ، كذلك يقيمون هذه الحضرة على الأضرحة ، وفي المناسبات السارة كالأعراس والزيارات ويتخلل ذلك الرقص أمام الدفوف ، بينما في المناسبات الجنائزية تضرب الدفوف مع الأناشيد من دون رقص[٣٧].

أما عن عمارة أو بناء دار الحضرة فيقال أن المشايخ آل باوزير قاموا ببنائها وساعدهم في ذلك أهالي الغيل ، وقيل أن بناؤها كان في عهد حفيد مؤسس الغيل عبدالرحيم بن سعيد المكني (مولى الطرائق) ، ففي الوقت الذي كانت لا توجد في غيل باوزير حكومة أو حكام بالمفهوم المتعارف عليه ، كان المشايخ آل باوزير يقومون بالدور الاجتماعي والروحي والديني والتعليمي ، وتساعدهم قبيلة آل عمر باعمر للقيام بالدور الأمني ، لذلك خصص المشايخ مجلس (الحضرة) للنظر في قضايا المواطنين وحلها ، ويدعى القائم على المجلس (المنصب) [٣٨].

وفي(نظري)أن الهدف الرئيسي من إنشاء دار الحضرة كان روحياً أكثر منه سياسياً أو اجتماعياً،ولكن بصرف النظر عن ذلك فإن هذا المبنى الذي ما زال قائماً رغم إدخال بعض الترميمات عليه دون مراعاة نمطه المعماري التقليدي[٣٩]،يظل موجوداً كأثر ومعلم من معالم المدينة ،ويجب حمايته والحفاظ عليه(انظر اللوحة في الملاحق).

---

٣٦) سارجنت ، روبرت : نثر وشعر من حضرموت، ترجمة سعيد محمد دحي، مراجعة محمد عبدالقادر بامطرف، المكلا، ١٩٨٠م، ص٧٣.

٣٧) الملاحي : مرجع سابق، ص٤-٥.

٣٨) بن شيخان : مرجع سابق ، ص٢٢ ، ٤٢-٤٣.

٣٩) تمت إدخال بعض الترميمات من قبل القائمين على المبنى وفي نفس الوقت كان مسكناً لهم ، وهم من آل باوزير المعرفين بآل بن يعقوب القائمين على الدار وعلى مراسيمها الروحية.

د – حصن العولقي :

يقع حصن العولقي على تلة جبل بقرية الحزم الواقعة بين قريتي الصداع وحباير شرق غيل باوزير،ويرجع بناؤه إلى العام١٨٦٣م بعد ما حصل الجمعدار الثري عبدالله بن علي العولقي(القادم من حيدر أباد)على الإذن من آل بريك حكام الشحر والغيل آنذاك في بناء حصنه هناك،وتشير بعض المصادر الشفهية والمخطوطة[٤٠]،أن العولقي قد بني حصنه من خمسة طوابق،وقد هدف من وراء ذلك المبنى الضخم أن يكون مقراً عسكرياً كنواة لإمارة قادمة يأمل أن تتوسع مستقبلاً مثلما فعل من قبله أقرانه غالب بن محسن الكثيري وعوض بن عمر القعيطي،وقال الشاعر الشعبي في ذلك :

محلاك يا حصن فوق قارة بناك العولقي لي ما يعوّل بالخسارة

وقد استخدم في بناء هذا الحصن مواد الطين والجص والحجارة والمدر والأخشاب، وكان الحصن بهيئة قلعة ضخمة يحيط بها سوران أحدهما داخل الآخر الأول يضم في أركانه (معاصير) أبراج دفاعية دائرية كبيرة مشيدة بالأحجار ، ويحتوي الثاني على أبراج دفاعية قائمة على قواعد دائرية مشيدة بالأحجار ومطلية بالجص .. وكان أبرز ما يميز الحصن تلك (المعاصير) الأبراج الدائرية ، وفيها قال الشاعر بعد ضربها من قبل السلطات القعيطية :

يا حصن خلّوا معاصيرك رماد أسود ونتفوا منك النورة عيال إبليس

وهكذا شكلت عمارة هذا الحصن فناً معمارياً رائعاً ، خاصة وأنها من نمط العمارة الهجينية ، أي خليط بين النمط المحلي التقليدي والنمط الهندي (انظر اللوحة في الملاحق)، وإلى الغرب والجنوب من هذا الحصن تمتد أطلال مستوطنة شيدت مبانيها باللبن ، تنتشر عليها شقافات فخارية مختلفة الأنواع وكسر من خزف البورسلين يعود تاريخها إلى الفترة بين القرنين (السادس عشر والثامن عشر للميلاد).

هـ – حصون آل همام :

خضعت غيل باوزير في الفترة من(١٤٩٥ــ١٧١٧م)لحكام الشحر من آل كثير في عهد عبدالله الكثيري وأخوه بدر أبو طويرق (الدولة الكثيرية الأولى)،وبعد حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار وازدياد ضعف الدولة الكثيرية،فرضت القبائل اليافعية سيطرتها على حضرموت،فخضعت الشحر لآل بن بريك والمكلا للكسادي،وبخضوع الشحر لآل بريك خضعت غيل باوزير لهم(١٧٥١ــ١٨٦٦م) ،وفي هذه الأثناء وصلت

٤٠)العطيشي،سالم عبدالله :إعلام ومعالم(حصن العولقي) ،مجلة الفكر،العدد (٢٩)،جمعية المؤرخ سعيد عوض باوزير،غيل باوزير،يوليو ــ سبتمبر ٢٠٠٦م ، ص٢.والملاحي:مخطوط ،مرجع سابق.

قبيلة آل بن همام وهم من أصول يافعية إلى الغيل قادمة من الشحر، وبنوا منازلهم في الجهة الشمالية منها والتي تعرف إلى الآن (بحصون آل همام) ومنها فرضوا سيطرتهم وحكمهم على هذه الجهة،وقد استولى ابن الرقيمي وهو من آل همام على حصن في الجهة الشرقية والمعروف بحصن الرقيمي وقد سبق الحديث عنه.[٤١]

وبالنسبة لعمارة حصون آل همام ما زالت قائمة ومسكونة،ولكن البعض منها تهدم والبعض الآخر آيل للسقوط،وكونها الآن تحتل موقعاً مهماً في مناطق العمران الحديث في الغيل سيجعلها ذلك عرضة للإهمال ومن ثم الهدم والمتاجرة بأراضيها(انظر اللوحة في الملاحق).

و – الأكـــــوات :

إضافة إلى بناء القعيطيون لسور مدينة غيل باوزير والحصون التابعة له،شيدت العديد من الحصون أو كما تسمى في حضرموت أكواتاً مفردها(كوت)،وتختلف أحجامها بين كبير وصغير ومنها كوت(فيروز)بالقرب من مسجد عمر من الناحية الشمالية الشرقية من الغيل،وكوت(العقاد) خلف مبنى وبستان حصن الأزهر،وأربعة أكوات على الطريق المؤدية إلى شحير[٤٢] ،أما الأبعاد بينها مترابطة متقاربة تقريباً من بعضها البعض بحيث أن كل حصن يغطي الثاني من الناحية الدفاعية،وشيدت منها أيضاً على الطريق المؤدية إلى قرية الصداع ومنها إلى الشحر،بالإضافة إلى كوت (قويدر)في أسفل منطقة الحرث(منطقة زراعية)لحمايتها،وكون(المجروب)خارج قرية الصداع،كما شيدت أعداد أخرى من أكوات الحراسة في الجبال لكي تشرف على زراعة(الخبه)،وفي أعلى الجبل المطل على منطقة(مكلّة القضب)في الناحية الغربية من مدينة الغيل وغيرها.

وقد تعرضت الكثير من هذه الأكوات كغيرها من المعالم الأخرى إلى التآكل والانقراض،بالإضافة إلى ما عبثت به يد الإنسان بقصد أو بغير قصد ويا ترى هل من منقذ لبقية الأكوات حتى تظل شاهداً على هذا النمط المعماري العسكري في حضرموت (انظر اللوحة في الملاحق)

ز – حصن الأزهر (المدرسة الوسطى) :

عين حاكم الشحر عبدالله بن عمر القعيطي ابنه منصر حاكماً على مدينة غيل باوزير وعندما قدم إليها نزل في منزل أحد أعيانها(صالح بن علي الحضرمي)ولكن لم

---

٤١) عدنان جروان : المرجع السابق، ص٣٥ – ٣٦.
٤٢) بن شيخان : المرجع السابق ، ص٣٢.

يرق لمنصر البقاء فيه ففكر في بناء مسكناً ومقراً لحكمه داخل الغيل،وقد تم تنفيذ هذا البناء عام ١٨٨٣م مستعيناً بالعمالة المحلية وتحت إشراف مهندساً معمارياً استقدمه من الهند(٤٣).

وقد بني هذا الحصن من الطين والحجارة ويتكون من ثلاثة طوابق ، وتتميز جدران الحصن بسماكة تصل إلى المتر وذلك ليكون درعاً واقياً من المدافع ، وحتى يصد هجمات البدو ، ويبدو أن منصر لم يستكمل البناء كما يشاء ، لأنه لم يستمر في حكم الغيل، ويرجع ذلك إلى الخلاف الحاد الذي نشب في الأسرة القعيطية بعد وفاة والدة عبدالله ، وإبعاده هو وأخيه حسين حاكم الشحر من حضرموت إلى الهند(٤٤).

أما نمط عمارة هذا الحصن الضخم فيبدو أنه من نوع العمارة الهجينية (Hrbrid Architecture) التي دخلت عليها التيارات المعمارية الهندية بشكلاً جزئياً، أي خليط بين النمط التقليدي المحلي والنمط الهندي ، والزائر لهذا المبنى الذي ما زال شامخاً سيلاحظ ذلك ، وهنا وجب علينا التنويه إلى الأسباب التي جعلت هذا المعلم ان يحتفظ بشموخه ، وهي الجهود الطيبة التي بذلها ولا زال يبدلها الخيّرين والمهتمين من أبناء الغيل وخارجها وتسنادهم السلطة المحلية في حضرموت في إيلاء جلّ عنايتهم بهذا المعلم التاريخي ، والتعليمي الثقافي لاحقاً ، وعلى رأسهم الأستاذ السفير محمد سعيد مديحج الذي سعى إلى إنقاده من الاهمال ، بل أشرف على ترميمه ، ومن ثم أعلنه مركزاً للأنشطة الثقافة والتربوية والتنموية ، تحت إشرافه أيضاً وحتى يومنا هذا (انظر اللوحة في الملاحق).

ح – قصر الباغ :

يقع غرب مدينة غيل باوزير،شيده السلطان عمر بن عوض القعيطي في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ليتخذه سكناً صيفياً له ولأفراد عائلته السلطانية،ونمط بنائه متأثراً بالنمط الهندي المعروف ويشابه قصر السلطان القعيطي في المكلا ، وكذا قصر السلطان عبدالكريم فضل في الحوطة لحج وغيرها من القصور التي بنيت بتأثير العمارة الهندية ، وهذا القصر مكون من دورين يحتويان على العديد من الغرف. وقد أقيم وسط حديقة رائعة الجمال كانت تضم العديد من الأشجار المتنوعة التي جلبت بعضها من أرض الهند والأشجار المزروعة فيها كانت من أشجار النارجيل وأشجار النخيل والجوافة والبيدان وشجرة الزينة المعروفة باسم

٤٣) جروان : المرجع السابق، ص٤٧-٤٨.
٤٤) باوزير: المرجع السابق، ص٢٢٨ . وعكاشة : المرجع السابق، ص٢٢٠-٢٢٣.

(ذقن الباشا) التي يزيد عمر بعضها أكثر من مائة عام وهي شجرة ذات رائحة عطرية خاصة في الليل ، كما كان القصر يحتوي على مسج كبير يتم تزويده بالماء من البئر المحفورة في حديقة القصر ، وفي الناحية الغربية من السور المحيط بالقصر شيد مبنى خاصاً يخدم السلطان ، أما حالة القصر اليوم فيرثى لها،[٤٥] أي ينتظر من يحميه ويحافظ عليه . (انظر اللوحة في الملاحق).

كل ما تقدم من اللامبالاة مع استمرار طمس المعالم المعمارية الدينية والمدنية والعسكرية سيؤدي حتماً عاجلاً أم آجلاً إلى تغيير هوية حضرموت ومدنها وقراها ومنها غيل باوزير بسكانها وجغرافيتها وتخطيطها العمراني وسلوكها المدني وبساطتها .. وإلى آخره من المخاطر التي يتعرض لها الارث المعماري لهذه البلاد ، بقصد أو غير قصد ، لذا كان لابد من دراسة تلك المخاطر ووضع سبل حمايتها والحفاظ عليها.

ثالثاً : المخاطر التي يتعرض لها الموروث المعماري وسبل الحفاظ عليه وحمايته :

١- حماية الموروث المعماري مسئولية جماعية :

إن ما تقدم من استعراض لأنماط العمارة والعمران في حضرموت عامة وغيل باوزير خاصة ما هي إلاَّ محاولة لإلقاء الضوء ، ومسعى للحفاظ عليها ، لأن ما تزخر به حضرموت اليوم من كنوز ومعالم وشواهد لجديره بأن نحافظ عليها ونصونها ونقدرها، لأنها دلائل وشواهد تعكس جوانب إبداعية مشرقة لمرحلة تاريخية مهمة في حياة مجتمعنا الحضرمي واليمني عموماً ، كما أننا وبمشاركتنا المتواضعة في المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العام للأثاريين العرب الذي أنبرت جامعة سوهاج مشكورة لرعايته، نأمل أن نكون قد أسهمنا ولو بجزء بسيط نحو لفت الأنظار إلى أهمية المناطق التاريخية في حضرموت وتراثها المعماري في حياة شعبنا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، وأن الاهتمام بهذا الموروث ليس من باب الحنين إلى الماضي وليس تطرفاً وتزمتاً ــ كما يراه البعض ــ فإن الجديد ينبثق من القديم وأن الرؤيا في المستقبل تكمن في الحاضر.

ولعل الدكتور (عليان) كان محقاً عندما قال : إن الحفاظ على التراث المعماري أو غيره لأي أمة أمراً في غاية الأهمية ، لأنها مصدراً تراثياً مهماً تكوّن جزءاً مهماً من ذاكرة الأفراد والأمم لما تحويه من قيم ثقافية ، وهي مهمة أيضاً من ناحية التطوير الاقتصادي للمجتمع لما تتضمنه من قيم ثقافية ، وهي مهمة أيضاً من ناحية التطوير

٤٥) الملاحي : المرجع السابق، ص٢٥ . وبن شيخان : المرجع السابق، ص٣١-٣٢.

الاقتصادي للمجتمع لما تتضمنه من قيم اقتصادية واجتماعية إن أحسن استغلالها بالتخطيط السليم للتنمية المستدامة وبالإدارة المنتجة لتلك المصادر.[٤٦] وهكذا نستطيع أن نخلص إلى أن التراث بما فيه المعماري يمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب[٤٧]، فمثلاً مستوطنة شبام حضرموت تمثل هوية حضرموت الثقافية التي يعرفها العالم من خلال هذه المستوطنة (مدينة الطين) التي زارها الكثير من المهتمين الأجانب ومنهم الألماني (أودلف ريد) في عام ١٨٤٣م ووصفها (بشيكاغو الصحراء).

ولاشك فإن ذلك من الأمور الهامة التي تناولتها المواثيق الدولية والعالمية بما فيها العربية في الحفاظ على تراث الأمم في شتى عصورها ، كإدراج ثلاث مدن يمنية ومنها شبام . حضرموت في قائمة التراث العالمي تحظى ببرنامج تجاه حمايتها والحفاظ على معمارها الطيني المميز.[٤٨] واعتقد أن الوقت قد حان لرد الاعتبار للحفاظ على المعالم التاريخية في مدن وقرى محافظة حضرموت ومنها مديرية غيل باوزير ، من بيوت سكنية وحصون وقلاع وقصور ومساجد واضرحة (قباب) واسبلة ...الخ التي ظلت شواهد على عظمة ما خلّفه الإنسان في حضرموت في الوقت الذي أدى الضعف في جانب التوثيق عموماً ، وحالة اللامبالاة لأهمية تلك الشواهد في مسار تطور المجتمع خصوصاً إلى هذه الحالة التي نعيشها اليوم من تنامي عمليات الطمس للكثير من تلك الرموز ، الأمر الذي سيعرضها على المدى البعيد إلى الاندثار ، وعلى هذا الأساس كان لابد من لفت أنظار صنّاع القرار في حضرموت واليمن عموماً إلى المخاطر التي يتعرض لها هذا الجانب وأن تتوقف أعمال الهدم للمعالم بقصد أو غير

---

٤٦) د. م. جمال عليان : الحفاظ على التراث الثقافي ــ نحو مدرسة عربية للحفاظ على التراث الثقافي وإدارته ، كتاب عالم المعرفة ، العدد (٣٢٢) ، الكويت، ديسمبر ٢٠٠٥م ، ص٧.

٤٧) عليان : المرجع السابق، ص٧١.

٤٨) للاستزادة عن أهمية وأهداف وسُبل الحفاظ المعماري، انظر: عليان : المرجع السابق ، (ص ٧١-٧٨) ، وعن دور المؤسسات الشعبية والحكومية في إيطاليا وفرنسا وبريطانيا (ص ٨٧-٩٨) ، ودور نظام الوقف في المحافظة على الموفوق في البلاد العربية (ص١٦٤-١٦٧) ، وتجربة الأقطار العربية في الحفاظ على تراثها المعماري وإدارته (١٧٢-١٩٨) ، وأهم المواثيق العالمية الصادرة عن المجلس العالمي للمعالم والمواقع أيكوموس (ICOMOS) في مجال الحفاظ على المعالم التاريخية ومنها " الميثاق العالمي للحفاظ والترميم للمعالم والمواقع ، ويسمى أيضاً ميثاق البندقية العام ١٩٦٤م (The charter of Venice, May 1964) و " ميثاق واشنطن للحفاظ على المدن والمناطق التاريخية (١٩٨٧م) ، و " الميثاق الدولي لإدارة التراث الأثري لعام ١٩٩٠م (ص٢٣١-٢٤٤). وانظر: توصيات المؤتمر العلمي الأول "العمارة الطينية على بوابة القرن الحادي والعشرين " ، جامعة حضرموت ، مركز العمارة الطينية ، ٢٠٠٠م.

قصد ، بالإضافة إلى ضرورة وجود مواقف شعبية إلى جانب أصحاب القرار ومشاركتهم في هذا المجال ، لأن حماية معالمنا التاريخية مسئولية جماعية.

بل نأمل في نهاية المطاف أن نسمع صرخة واحدة وصادقة ، فلتتوقف أعمال الهدم لمعالمنا ، ولتتوقف شتى أعمال الإهمال والعبث وانعدام الرقابة والضوابط تجاه معالمنا وبهذه الجهود المشتركة نستطيع أن نرد الاعتبار للحفاظ المعماري في عموم محافظة حضرموت .

ولكن ولله الحمد بدأت تظهر مؤخراً بوادر إيجابية على الطريق نحو الاهتمام بالتراث المعماري والحفاظ عليه ، ولعل ما تشهده محافظة حضرموت ممثلة في الحكومة والسلطة المحلية والمراكز العلمية والجهود الشعبية من مساعي في عملية الحفاظ العماري دليلاً على ذلك ، وكان أبرزها المؤتمر العلمي الأول "العمارة الطينية على بوابة القرن الحادي والعشرين" المنعقد في رحاب جامعة حضرموت خلال الفترة من (١٠ــ١٢ فبراير ٢٠٠٠م) الذي شارك فيه عدد من الأساتذة والباحثين من الدول العربية والأوربية ، وكذا مكتب اليونسكو بالقاهرة ، والمركز العربي للدراسات الإستراتيجية بدمشق ، بالإضافة إلى عدد من الباحثين من الجامعات اليمنية ، وبعض الهيئات والمعاهد والجهات ذات العلاقة.

وقد هدفت أبحاثهم إلى الانفتاح على قضايا البيئة والمجتمع وبحث مشاكله ، وتسخير نتائج تلك البحوث لإبراز أهمية الثروة التراثية في محافظة حضرموت ، بل أوصى المؤتمرون إلى ضرورة الحفاظ على المدن والمعالم الطينية التاريخية وحمايتها من الإهمال والعبث والاندثار.

وكذلك يسرُّ كل مواطن غيور على تراثه الوطني ظهور بعض الاهتمامات الشعبية في هذا المجال التراثي الهام في أماكن عديدة من حضرموت ، كالإشهار الذي شهدته مدينة المكلا في عام ٢٠٠٦م لمؤسسة تهدف للحفاظ على تراث وتاريخ حضرموت " مؤسسة حضرموت للتراث والتاريخ والثقافة " ، وفي تصريح لرئيس المؤسسة (خالد سعيد مدرك) في العدد (٥٢١٠) لصحيفة الأيام في ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٧م عن إصدارات المؤسسة ، أن العدد الثاني من نشرتها (عاد) سيصدر في ثوب قشيب وسيحتوي على العديد من المقالات والموضوعات التراثية والتاريخية التي تختص بتراث وتاريخ حضرموت ومن أبرزها ما حلّ بعمارة مأذنة مسجد بازرعة التقليدية من طمس بحجة التجديد ، ولا ننسى أيضاً الإشارة إلى ما تقوم به جمعية حماية العمارة الطينية بمدينة شبام حضرموت من نشاط في حماية التراث الوطني ، كدورها في حماية مستوطنة شبام ، وحصولها على شهادة (الأَغاخان) الدولية في

ماليزيا في سبتمبر الماضي من هذا العام (٢٠٠٧) لنجاحها في ترميم بيوت شبام العتيقة على نفس نمطها التقليدي. كما نبارك أيضاً ما تقوم به " جمعية أصدقاء حضرموت بريطانيا " من دور في ترميم بعض المعالم التقليدية في حضرموت كترميم المدرسة الابتدائية بغيل باوزير التي يعود تاريخها إلى ما قبل عام (١٩٤٧م) على النمط التاريخي المعماري للمدرسة .

وها نحن اليوم على أعتاب شهر أكتوبر (٢٠٠٨م) على موعد مع المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب بعنوان " **دراسات في آثار الوطن العربي** " في الفترة من ١٧ –٢١ أكتوبر تحت رعاية جامعة الدول العربية وأمينها العام السيد / عمرو موسى ، ومعالي الوزير / فاروق حسني وزير الثقافة ، واتحاد الجامعات العربية وجامعة سوهاج ورئيسها الأستاذ الدكتور محمد سيد إبراهيم ، وهي الجامعة التي سوف تستضيف مشكورة أعمال مؤتمر الآثاريين العرب هذا العام . وفيه سنطلع المشاركين العرب بما تزخر به حضرموت من إرث معماري غزير وفريد .. وسنوصى بزيارتهم مستقبلاً لحضرموت واليمن عموماً ، للإطلاع على إرثها المعماري عن قرب والتعرف عليه ودراسته لإنجاز دراسات وأبحاث أكثر عمقاً وشمولاً ، ولتزويد المكتبة اليمنية والعربية بمعلومات أشمل وأدق عن هذا الجزء العزيز من وطننا العربي .

وأخيراً ما أحوجنا لمثل تلك الجهود التي تتبناها المؤسسات الحكومية والأكاديمية والشعبية في اليمن والوطن العربي عموماً للحفاظ على ما هو باقٍ من الارث المعماري وحمايته.

٢- **التوصيات :**

١- توثيق المعالم المعمارية بالرفع الهندسي والرفع بالتصوير ، خاصة أن التصوير في استخدام التقنيات الحديثة في مجال الحفاظ والتوثيق أصبح أكثر سهولة ومن الممكن استخدام كاميرات رقمية مترية (Digital Metric Camera) مع برامجها الخاصة تعطيك إمكانية تحويل الصورة إلى رسمة يمكن أخذ المقاييس منها ومعالجتها.[٤٩]

٢- إبرازها إعلامياً من خلال إقامة معرض صور للنماذج المختلفة للمعالم ، وملصقات إعلامية بشكل نماذج متميزة كواجهات مدينة شبام ومنارة المحضار في ترميم وبوابات مدينتي الشحر وشبام ، وحصن الغويزي بالمكلا وقصور

٤٩) وللمزيد عن توثيق المعالم المعمارية انظر: عليان : المرجع السابق، ص٩٩-١٠٣.

سلاطين حضرموت كالسلطان الكثيري في سيئون والسلطان القعيطي في المكلا ، وحصن الأزهر (المدرسة الوسطى) في غيل باوزير...الخ.

٣- الاهتمام بترميم القصور والحصون والقلاع (الأكوات) والمساجد القديمة والأضرحة (القباب) وإعادة تأهيلها نظراً لقيمتها التاريخية والفنية ، والاعتناء بالبيئة العمرانية المحيطة بها ، بل ينبغي أن يكون ترميم هذه المعالم على نمطها التاريخي المعماري القديم ، وكذا الحد من ظاهرة الزحف العمراني الحديث على حساب هذه المعالم.(٥٠)

٤- توعية المواطنين إعلامياً وحثهم باستمرار على عدم العبث أو التعدي على المعلم، وتشجيعهم على مشاركتهم للجهات المختصة والعمل معها على صيانة هذا المعلم أو ذاك ، وذلك من خلال المؤسسات الحكومية والشعبية ، كالجمعيات المتخصصة أو المهتمة بهذا المجال ، كجمعيات الأثريين أو التاريخ أو التراث.. وغيرها.

٥- إعادة تأريخ المعالم التي طالتها معاول الطمس ولم يبق عنها من المعلومات شيء إلاّ ما ندر من أخبار وروايات ، بإعداد مجسمات ونبذُ تاريخية مختصرة عنها ، حتى يتسنى للأجيال الحاضرة والقادمة التعرّف على شكل المنشأة التي بادت ، وعلى شيء أو بعض شيء من المعلومات عن تاريخها.

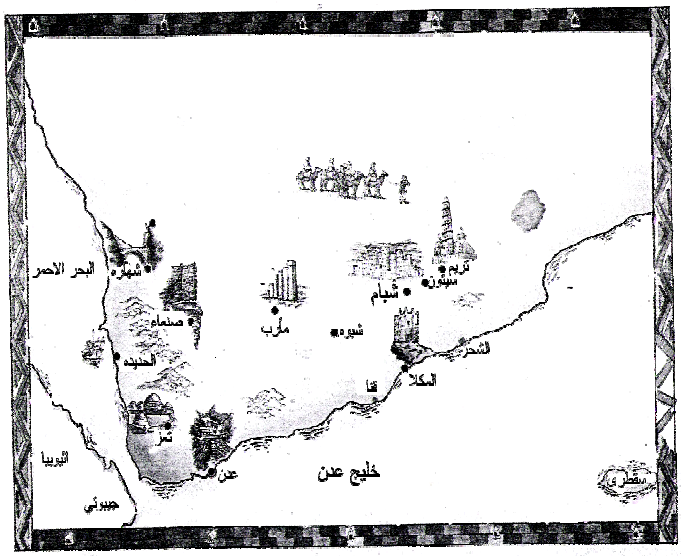
٦- إنشاء المراكز البحثية المحلية في المديريات وضرورة ارتباطها بالمراكز البحثية في عواصم المحافظات ومن ثم بمراكز عاصمة الدولة ، وهذه بدورها عليها الارتباط بالمراكز البحثية في العالم عن طريق الانترنت للاستفادة وتبادل التجارب والخبرات ، وإذا سنحت الفرصة الاشتراك في المؤتمرات أو الندوات في ذات المجال.

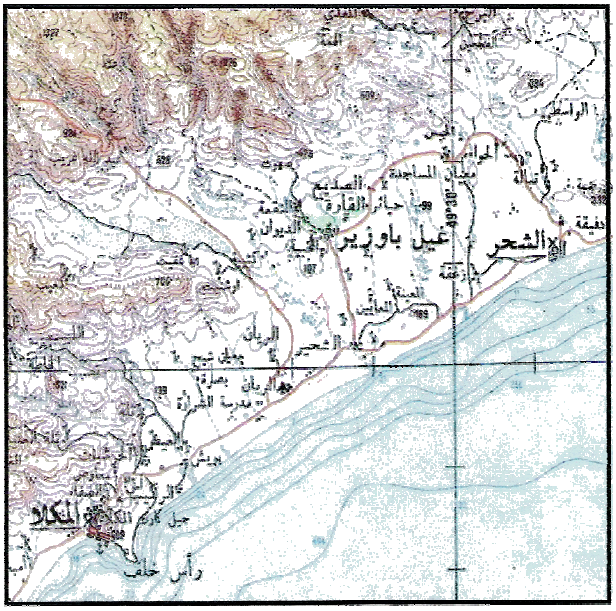
٧- إنشاء المراكز البحثية للتوثيق والتتبع التاريخي للمعالم التاريخية لمعرفة حالتها، لوضع سبل الحفاظ عليها وحمايتها ، بالإضافة إلى تكثيف الاهتمام بتلك المعالم وعمارتها التقليدية وجعلها ضمن مناهج التعليم المعماري في كليات وأقسام العمارة بجامعة حضرموت وكذا ببقية الجامعات اليمنية ، وهذا يتطلب تخصيص مقررات للعمارة التقليدية والعمل على إعداد بعض الدراسات والبحوث العلمية التي تسعى إلى الحفاظ المعماري وتوثيقه وتطويره وإدارته.

---

٥٠) ولمزيد من التفصيل عن منهجية وخطة الحفاظ المعماري انظر عليان: مرجع سابق ، ص ص١١٨ -١٢٧.

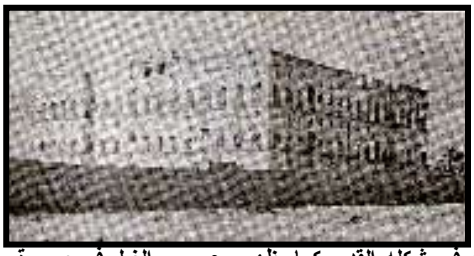
وختاماً نتمنى أن يكتب لهذا المؤتمر النجاح ، ونأمل أن يتوصل المشاركون فيه إلى نتائج بنّاءه ، وأن تكون توصياتهم رصينة ، ونداءاتهم صادقة ، والأكثر أهمية أن تتواصل تلك الجهود مع صنّاع القرار ، كي تتحول النظريات والتوصيات إلى قرارات وتعليمات وقوانين تنفيذية. ونسأل الله النجاح في ذلك .. والله الموفق.





خريطة سياسية لبعض مدن حضرموت الساحل وتتضح فيها مدينة غيل باوزير وضواحيها.

الملاحق غيل باوزير



الحصن في شكله القديم كما يظهر مع سور الغيل في صورة التقطت عام ١٩٣٤م وقد التقط هذه الصورة النادرة المستر هارولدا نجرامز, وزوجته دورين عند زيارتهما الأولى لحضرموت ويظهر في الصورة سور الغيل وقت أن كان قائماً بكامله قبل أن تنال منه عوادي الزمن .





حصن العولقي



صورة لجانب من دار الحضرة



حصون آل بن همام



قصر الباغ



موقع حصن آل جابر ويظهر في الصورة السور الذي بناه القعيطي



سدة المكلا



سدة الغيل الشرقية



مجسم السده



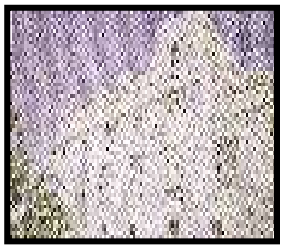
ضريح (قبة) مولى الربع وتظهر في الصورة حالته بسبب الإهمال



ضريح (قبه) مولى الحبيش



اطلال بطاح القور



نموذج لمنزل قديم / واجهة دار باحبوكر (مدرسة باشراحيل سابقاً



أطلال بطاح القور



مسجد الغريب بوادي بن علي والهدم الذي طاله



مسجد بانصر القديم (هدم الآن وحلت محله بناية جديدة)



كوت حراسة للقعيطى





البوابة الشمالية لمدينة الشحر – سدة العيدروس



البوابة الغربية (سدة الخور)



حصن بن عياش



القصر السلطاني بسيئون – لسلاطين آل الكثيري



مسجد العيدروس





بعد الترميم

قبل الترميم

حصن الفلس بسيئون معلم ذو صبغة عسكرية بنى نحو القرن العاشر الهجري أعيد تأهيله بعد أن أضحى خرابة منذ ما يزيد على ستة عقود أو أكثر ، تم الانتهاء من أعمال الترميم في نهاية ٢٠٠٥م



سدة المكلا التي أصبحت أثراً بعد عين



حصن الغويزي
هذا الحصن (الكوت) مبني على صخرة مجوفة على مدخل مدينة المكلا (نمط معمار عسكري)



منارة جامع روضة بمدينة المكلا



القصر السلطاني للسلاطين آل القعيطي ، من أبرز معالم المكلا وهو الآن بحالة يرثى لها و ينتظر عطف الجهات المختصة لترميمه قبل أن ينهار